

# الكرك:

## ضيافة عميقة الجذور

< حبيب سلوم

كنّا في طريقنا إلى البتراء القديمة، مدينة الصحراء الأردنية الحمراء الرائعة. وبعد فترة قصيرة من مغادرتنا عمّان توقفنا و نقلنا معنا مسافرا بلباس جيد. وفي الأردن، لا يخاف أحد من يطلب المساعدة في نقله معه بالسيارة. وخلافا لما يحدث في العديد من أجزاء العالم الأخرى، لا توجد هناك حالة نقل فيها سائق عابر سبيل فنجمت له أضرار من جراء ذلك. وفي الواقع، عادة ما يصبح طالب المساعدة، وبسرعة، صديقا ومصدرا مفيدا للمعلومات، وغالبية الأردنيين يفهمون بعض الانكليزية والكثير منهم يتكلمونها بطلاقة.



واتضح أن رفيقنا الجديد، عواد حجازين، هو من المسيحيين العرب، وقال إن أسلافه في الأصل هم من اليمن، ولإظهار الضيافة العربية الحقة، فقد ألحّ عواد علينا وقال "توقفوا من أجل القهوة، بيتي على مشارف الكرك، وهو على طريقكم"، وكان من الصعب علينا رفض طلبه المتكرر، ولكن كانت خطتنا تتطلب تخصيص يوم كامل لزيارة البتراء.

لقد قلنا "لا" للمرة الأخيرة عندما لاحظنا من مكان مرتفع، عبر الوادي، وعلى تل مقابل مدينة الكرك والتي كانت تعرف بـ"كر موأب"، والتي تهيمن على أفقها القلعة- بسبب ضخامة حجمها، ورفض عواد المغادرة إلا بعد أن يأخذنا في جولة في مدينته التاريخية، والتي كانت ذات يوم مدينة رئيسية، ثم أصبحت عاصمة للدولة الصليبية، وأثناء الحروب الصليبية، كانت القلعة، والتي تقع على حافة هضبة ارتفاعها 1,100م فوق مستوى البحر، واحدة من سلسلة من القلاع العظيمة، وهي تذكر أساسا لمعاملة صاحبها الصليبي القاسي، رينو دي شاتيللون، والذي تسبب كسره الهدنة في قتله على يد صلاح الدين الأيوبي بعد انتصار المسلمين في معركة حطين في 1187.

والقلعة التي وضع أساسها في سنة 650 قبل الميلاد، والتي تبدو من بعد مثيرة للإعجاب، فإنها من الداخل أكوام من الأنقاض، ولكنها حاليا في طور الإعمار، استمتعنا بالمنظر الرائع من فوق جدرانها، ثم تركناها متوجهين جنوبا على الطريق السريع 35، جاعلين طريقنا على طريق ملتوي

الكيفية التي استطاع بها الأردن تنظيف المدن والأرياف، ما يذهل زوار هذا البلد لأول مرة هو تقريبا خراب المدن من القمامة، وحتى أصغر المدن مثل تافيللا- هي أنظف من معظم المراكز الحضرية في أوروبا وأمريكا الشمالية، وعندما ذكرت ذلك مرة، قال لي صديق أردني أن "الفضل يعود لصاحب الجلالة! لقد أراد ملكنا السابق لهذا البلد أن يكون نظيفا، مناسباً للزوار" ولا بد أن الشعب أراد تحقيق رغبة الملك بكل ود، ويبدو أن الأردن من أنظف البلدان في العالم. ■

عبر التلال المزروعة، واستمرنا في طريقنا الملتوي الذي يسمى بـ"طريق الملك" والذي كان يمتد ذات يوم من بابل إلى مصر، وسرعان ما كنا نمر بالسيارة على تلال جرداء لا يكاد يسكنها إنسان أو يلوح في البصر، فقط هنا وهناك رعاة يرعون الماعز أو الجمال، المنازل والمساحات الخضراء القليلة لم تظهر إلا على مقربة من الطفيلة، وهي مدينة كبيرة، منظمة، وقبل كل شيء نظيفة، فتوقفنا لشرب الشاي، بعد أن تركنا الطفيلة إلى البتراء تأملت في